المبحث السابع عشر

الخصلة الصالحة لدى المسلم

الخصلة الصالحة لدى المسلم

الحمد لله رب العالمين، الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لقدرته، لا عز إلا فى طاعته، ولا نعيم إلا فى رضاه.

اللهم إنا نشهدك، ونشهد حملة عرشك وملائكتك، وجميع خلقك إنك أنت الله، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، لك الملك، ولك الحمد، وأنت على كل شئ قدير .

اللهم إننا في نعمة وستر، فأتم علينا نعمتك، وعافيتك، وسترك يارب العالمين، والصلاة والسلام على خير الذاكرين، وإمام الشاكرين سيدنا محمد ﷺ وذوي نسبه الذين يبلغون رسالات الله، وهو سيد من بلغ رسالات الله، وهو من خشى ربه ﷻ، تعالى سلطانه، وعز جاره، وتباركت أسماؤه.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٣].

أي: وقل أيها الرسول الكريم الثناء الجميل لله؛ لأنه سيريكم آياته في أنفسكم، وفي السماء والأرض؛ فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق، وتبيِّن لكم الباطل، وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

الحمد لله رب العالمين، لك الحمد يا رب العالمين، لك الحمد يا وليُّ الصالحين، لك الحمد يا غياث المستغيثين .

قد تحدثنا من قبل أن الله ﷻ إذا أراد أن يُنقِّي عبدًا، ينقى أي أن الإنسان مِنَّا يقع في ذنوب هذا لا خلاف عليه، وإن سيدنا موسى عليه السلام كان نبيًّا وكان من أولي العزم، وكان له قلب صلب، وقلب شديد، ورغم هذا فإن سيدنا موسى عليه السلام ألقى الألواح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٠].

أي: ولما رجع موسى إلى قومه مِن بني إسرائيل حزينًا; لأن الله قد أخبره أن قومه قد فُتنوا، وأن السامريَّ قد أضلَّهم، قال موسى ﷺ: بئس الخلافة التي خلفتموني مِن بعدي، أعجلتم أَمْر ربكم؟ أي: استعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدَّر من الله تعالى؟ وألقى موسى ألواح التوراة؛ غضبًا على قومه الذين عبدوا العجل، وغضبًا على أخيه هارون، وأمسك برأس أخيه يجره إليه، قال هارون مستعطفًا: يا ابن أمي، إن القوم استذلوني وعدُّوني ضعيفًا، وقاربوا أن يقتلوني، فلا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.

وأن هذه الألواح، وهي التوراة التي كتبها الرحمن بيده، لما انفعل سيدنا موسى ﷺ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه، أخوه هذا نبي، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، آيات شديدة سيدنا موسى ﷺ ألقى التوراة، لأنه نبي من أولي العزم، نبي ورسول وأخذ برأس أخيه وجره على الأرض، ولكن موسى ﷺ فعل هذا من باب الانفعال لله جل في عُلاه لم يكن منفعلاً لدنيا، ولا لمظهرية، ولا أخذته العزة بالإيمان، كثيرون تأخذهم العزة بالإثم، أما سيدنا موسى ﷺ اعتز بالإيمان يقول له: كيف يا هارون تركتهم ضلوا، تركتهم يعبدون العجل من دون الله كيف؟ وأين دورك؟ فسيدنا موسى ﷺ غضب لأمر الله تعالى، أي غضب؛ لأن الشريعة انتقصت، وضاعت معالمها عند بني إسرائيل عندما عبدوا العجل وتركوا القيوم ﷻ.

ما جرى من سيدنا موسى ﷺ ، فقد أراد الله جل في عُلاه أن يُنقيه، وأراد الله أن يتوب عليه، وأراد الله أن يغسله مما حدث، فأعطاه الله تعالى خصلة صالحة.

ما الخصلة الصالحة؟ ولما سكت عن موسى ﷺ الغضب أخذ الألواح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾ [الأعراف:١٥٤].

أي: ولما سكن عن موسى عليه السلام غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق، ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

الخصلة الصالحة التي عند سيدنا موسى عليه السلام هي سرعة الغضب، أي: الانفعال لله سبحانه وتعالى، والذي ينفعل ربما لغير الله تعالى ويقسى القلب، لكن سيدنا موسى عليه السلام أعطاه الله تعالى خصلة صالحة، وهى أن سيدنا موسى عليه السلام لما غضب، وتدارك خطأه، واستقر في قلبه أنه ما كان يفعل هذا، ولو أنه فعل هذا من باب الحب لله تعالى، فإنه أراد أن يعود على الفور، وهذه توبة الصادقين.

إن الإنسان مجرد أن يستشعر أنه فعل شيئًا وأغضب الملك وأغضب القيوم، وأغضب الحي جل جلاله تباركت أسماؤه فإنه يعود سريعًا، قال: اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [الأعراف:١٥١].

أي: قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يُفَرِّط فيما كان عليه من أمر الله: ربِّ اغفر لي غضبي، واغفر لأخي ما سبق بينه وبين بني إسرائيل، وأدخلنا في رحمتك الواسعة، فإنك أرحم بنا من كل راحم .

لما استشعر سيدنا موسى عليه السلام – وهو نبي الله – الذنب، ماذا فعل؟ قال: ربى اغفر لي ولأخي، وأدخلنا في رحمتك .

معنى أدخلنا في رحمتك: أنه يتلمس الباب الذي يدخل فيه إلى رحمة الملك العزيز، أدخلنا كأنهم عندما فعلوا هذا، وتركوا هارون وعبدوا العجل من دون الله، كأنهم خرجوا من رحمة الله، وهم يريدون أن يعودوا إلى رحمة الله.

اللهم أدخلنا في رحمتك كما دعا موسى الكليم عليه السلام قال: اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك، ما أجمل هذا الدعاء؟! إن كل منا وهو ساجد يقول: اللهم اغفر لي ولأخي، اللهم اغفر لي ولإخواني، اللهم اغفر لي ولأخواتي .

اللهم اغفر لى وارحمني، اللهم أدخلني في رحمتك، ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

إذا أراد الإنسان أن يتوب لابد أن ينخلع، أي: يخلع نفسه من رفقة الظالمين؛ لأنه إذا أراد أن ينقي ثوبه فلابد من أن يرافق أناسًا أنقياء ليس في قلوبهم فقط، بل في أي شئ من ناحية أي أحد هكذا سيدنا موسى عليه السلام عندما أراد أن يتوب، قال هذه الجمل الثلاث، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ... ﴾ [الأعراف: ١٥١].

أراد أن يدخل في رحمة الله تعالى، وكي يدخل في رحمة الله تعالى؛ فإنه دعا الله وهو أرحم الراحمين أن يدخله في رحمته، وأن يبعده عن القوم الظالمين الذين جعلوه يغضب والذين جعلوه يثور؛ ولذلك الواحد فيكم، والواحدة فيكن عندما يأتي له انفعال شديد يبالغ فيه فوق العادة، فإنه يغادر المكان الذي يؤدي به إلى هذا الانفعال حتى يستقر قلبه، وما الذي يجعل قلبك مستقرًا، الذي يعيد إليك التوازن، ويعيد إليك البهاء، ويعيد إليك النشاط وهو الوضوء .

كما ذكرنا من قبل أن النبي الأعظم ﷺ كانت له الخصلة الصالحة، فلازم كل واحد فيكم يفكر له في الخصلة الصالحة، لأنه إذا اعتاد على عمل خير، هذا العمل سينهض به يشده ويشد غيره، وآخر يحب يمسح على رءوس اليتامى خصلة صالحة، وآخر يحب أن يطيل السجود خصلة صالحة، وآخر يصبر على إيذاء الناس ولا يشتكى، وآخر يصبر على الحياة وشدتها ومشقتها وصعوبتها وقسوتها، ولا يشتكي هذه الخصلة الصالحة .

تشده أي ينصلح بها باقي عمله، الآن يأتي إليك رجل وأنت تعلم أنه كذاب، وقلت لك: إن النبي الأعظم ﷺ كان أشد الأخلاق إليه بغضًا كان الكذب، وأن يكون كذابًا فمن الناس من له مكانة في قلبك، ثم يتبين لك

بعد هذا أن كلامه كان كذبًا وأن كلامه كان تلفيقًا فى تلفيق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

أي: ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين، الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد، تجد وجوههم مسودة، أليس في جهنم مأوى، ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بلى.

ما حالهم؟ وجوهه مسودة، فالذى يُسوِّد الوجوه في الدنيا هو الكذب، والذي يسود الوجوه في الآخرة هو الكذب، فإذا ما تخلص من الكذب، وصار صادقًا تغيرت صفته في الملأ الأعلى وصار صادقًا صديقًا، عندئذ ينصلح باقي أعماله، العمل كله ينصلحويكتب مع الصديقين، قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق؛ حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**»(١) ولكن عمله لا ينصلح أبدًا مادام كاذبًا، فعندما يتخلى الإنسان عن الكذب فإن الإيمان يستقر في قلبه، ويصدق وكذا وكذا، الذي يصلي بالناس صلاة غير خاشعة لا يخشع في صلاته وهو على هذه الحالة يصلي منفردًا باستعجال، بأن كان يصلي بالناس إمامًا ويتعجل في الصلاة.

إذا صلي العصر بالناس يتعجل في الصلاة، وإذا كان يصلي بمفرده فإنه يخطف الصلاة خطفًا، إذا صلى بالناس في المسجد صلاة سريعة صلاة صاروخية هذه الصلاة تستطيع أن تحكم بها على قلبه؟ أي أستطيع أن أعطيك درجة في الإيمان على الصلاة كما أعطيك درجة في الإيمان في امتحانك فى حب رسول الله ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا»، رقم الحديث: ٥٦٢٩.

﴿أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

أي: إن الذين يَخْفِضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم، وثواب جزيل، وهو الجنة.

أي: دخل في امتحان ونقول لك: إنك تمتحن في الصلاة كالذي سافر قديمًا ركب من بلاد إلى بلاد خرج من الجزيرة العربية، وسافر بلادًا بعيدة إلى "سمرقند" لكي يطلب من شخص حديثًا شريفًا يريد أن يستوثق من صحة حديث شريف، يقول له: أنا قرأت هذا الحديث، لكن أريد أن أسمعه منك، لأنك سمعته عن فلان عن فلان، وفلان هذا سمعه من رسول الله ﷺ، وكل هؤلاء الناس عندما سألت عليهم وجدتهم ماتوا ولم يبق إلا أنت، أنت حجتي فذهب من بلد لبلد فدخل عليه، وهو يصلي أي وجده يصلي هل وجده لا تشوبه شائبة؟

فجلس ينظر عليه، وهو فاتح دفتره ينتظر أن ينتهي من الصلاة؛ ليسأله ويكتب المعلومة التي يريدها ويعود إلى بلده في دقائق ثم وهو يصلي أغلق الدفتر، وأغلق قلم الحبر، وأخذ الأدوات ووضعها في حقيبته، وأغلق الحقيبة واستعد للخروج، فقال له: ما الذي أتى بك؟ ولماذا أنت ذاهب؟ ما الذي أتى بك من بلاد العرب وجئت من بلاد إلى بلاد وأنت راجع دون أن تنتفع منى بشيء، قال له: جئت لتعلمني حديث رسول الله ﷺ وإنك الحُجة فى هذا الحديث، فجئت إليك راجيًا أن آخذه منك فعندما جئت إليك وجدتك لا تعدل في صلاتك، لا تقيمها حق القيام، فأنت لست منصفًا مع الله، ولست حجة في نقل كلام رسول الله ﷺ، ومثلك لا يوثق بكلامه وعاد!

وجد أن هذا الرجل لا يعدل في صلاته ولو عدل في صلاته ولو عدل في وضوئه، فهذه خصلة صالحة ينصلح بها باقي عمله بدأنا الآن نفهم

معنى الخصلة الصالحة، والشاب الذي يقع في العادة السرية، وقال: لا أستطيع أن أغض بصري لكثرة ما أجد من كذا وكذا، والمجتمع مليء بالفساد وكذا وكذا، إذا استعان بالخصلة الصالحة ألا وهي غض البصر، إذا جاء بها، وحافظ عليها، وتمكن منها فإن الله تعالى يبدل سيئاته حسنات، فقال: هذا الأمر صعب عليّ، شديد علي، لكنه كلما أراد أن يغض بصره قال له الشيطان: استمتع، متع نفس، متع ناظريك، متع قلبك، الناس يقولون في باب المتعة الدنيوية الفانية: إن الإنسان لا يعيش إلا مرة واحدة، هذا خطأ كبير.

إن الحياة الحقيقية، هي الحياة التي نحياها الآن هي مقدمة لحياة سرمدية، الحياة الحقيقية هي الحياة التي تأتي إليك بعد الموت، كما قال لك الملك عندما يؤتي بالإنسان وتعرض عليه أعماله، وصحائفه، وما قدم، وما أخَّر فإنه يتمنى أن يعود مرة أخرى لكي يتنعم بالإيمان؛ ولكي يعايش الإيمان فيقول: يا ليتني قدمت لحياتي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

يقول: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة، هذه حياتي، أي حياتي الآخروية، كما قال لك الملك أيضًا في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤].

أي: وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان; بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعًا، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، ولو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء، الذي قال: إنك تعيش مرة واحدة، فاغنم من الحاضر لذاته فليس في طبع الليالي الآمان.

فهذا كلام خادع وبراق وزائف، والذي يَسُبُّ الليالي فيقول: فليس في طبع الليالي الأمان[1]، إنما يسب خالق الليالي، ونقول لك: واغنم من الحاضر لذاته، لذات الحاضر هي التى نحدثك عنها الآن هي اللذات التى

(١) القائل هو: "عمر الخيام" في رباعيته؛ "رباعيات الخيام".

نفهمها؛ لأنه ذاق طعم الإيمان، وذاق حلاوة الإيمان هي اللذة الحقيقية التي يتنعم بها أهل حب الله ﷻ، فظل يقاوم كالذي يغسل ثوبًا، يغسل جلبابًا يغسل عباءة أو يغسل شيئًا، فكلما أراد أن يغسل فإنه لا زال متسخًا، كلما أراد أن يغسل فلا زالت البقعة متناثرة فيه، لابد أن يستعين بمنظفات أخرى أشد قوة، وإذا لم تصلح، وإذا لم تنفع فإنه يأتي بغيرها حتى ينتفع بهذا الثوب الذي يغسله، هكذا قلبك يحتاج إلى غسيل، كالذي لا يتكلم إلا قليلاً، هذه خصلة صالحة جعلته يتكلم قليلاً، جعلته يصمت، جعلته لا يتنقل أخبار الناس، ولا يتعاقب أخبار الناس، ولا ينشغل بأخبار الناس.

ما البداية؟ إنه لا ينشغل بالناس هذه خصلة صالحة لماذا؟ لأنها جعلت قلبه متفرغًا لحب الملك، لا ينشغل إلا بالله ﷻ كما قال الخليل عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها ثم أقمتم على عبادتها ملازمين لها ؟

أيصح لك أن تعبد تمثالاً؟ أن تعبد حجرًا، أن تعبد مزاجًا، أن تعبد مصلحةً، فسيدنا إبراهيم تهكم من قومه، ما هذه التماثيل؟ ما هذا؟ ماذا تفعلون؟

أين عقلكم؟ وأين فهمكم بالله تعالى؟ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ ماذا فعلت لكم التماثيل؟ الواحد إذا مرض، وإذا تعب أو مرض ولده، أو زوجته يقول: يا تمثالي، يا تمثالي، أم يقول: يا رب، يا رب! ماذا تقول؟ كثير من الناس في هذه الحياة التي نعيشها لا يعرفون الرب العظيم، الكبير المتعال إلا عندما تشتد بهم الأزمات، ولا يعرفون طريق المسجد، ولا مواعيد الآذان، ولا مواعيد الصلاة إلا كهذا الرجل الذي حملت امرأته، امرأته أصبحت حاملاً، وأتى موعد الولادة، وهو لم يكن يعرف رب العالمين، من قبل كان ناسيًا الخالق العظيم الملك الرحمن الرحيم، ثم نجدها تحتاج غوثًا، خروج روح من روح، سبحان الله تعالى أنها عملية ليست هينة، عملية خلق الحياة، حياة تطلع من حياة، حياة تخلق من

حياة، جنين يخرج حي من بطن أمه، وتظل أمه حيةً وأثناء متاعب ومشاق الولادة العظيمة تذكر الخالق، تذكر المنجي، فاستغاث به فكيف استغاث بالله ﷻ ؟ انظر ماذا قال الملك ﷻ في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٨٩].

أي: هو الذي خلقكم أيها الناس من نفس واحدة، وهي نفس آدم عليه السلام وخلق منها زوجها، وهي حواء؛ ليأنس الإنسان بها ويطمئن بعشرتها، فلما جامعها، والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم، حملت ماءً خفيفًا، فقامت به وقعدت وأتمت الحمل، فلما قَرُبت ولادتها، وأثقلت دعا الزوجان ربهما: لئن أعطيتنا بشرًا سويًّا صالحًا لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت لنا من الولد الصالح .

فلما أثقلت ماذا يعملون؟ دعوا الله ربهما، لم يقل دعوا ربهما، لم يقل دعوا الله فقط، ولكن هذه الاستماتة في الدعاء، الاستماتة فى الرجاء دعوا الله ربهما، أي ذكر لفظ الجلالة جل جلاله وذكر كلمة الرب، ومنتهى الربوبية، ومنتهى العظمة كلها لله ﷻ ﴿... **لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾ [الأعراف:١٨٩].

فاستجاب الله لقدرته لعلمه يختبر فجاءه طلب فأقام الله عليك الحُجة، وترى أولادك متى يكبرون وأنت تكبر معهم، وكلما تكبر معهم يموت والدك وتموت والدتك، هذه الحياة تعطيك مواقف وعظات لابد أن تعيشها انظر، ماذا قال الملك ﴿...**فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾ [الأعراف:١٨٩].

يذهبون المستشفيات فى أقسام الولادة أو عند أطباء الأمراض النسائية أو الطبيبات في أمراض النساء والتوليد، تلاحظون الناس جالسين وهم يمسكون المصاحف يقولون: يا رب يا رب، وأول ما يستمعون بكاء الطفل يغلقون المصاحف، والذي بيده سبحه، والذي يصلى ركعتين،

جاءت لحظة الحياة انتهى الأمر، أغلقت المصاحف، وسحبت المسابح، والقضية لا ينبغي أن تنتهي ﴿... **فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ [الأعراف:١٨٩].

فلما آتهما صالحا، صالحًا أي سويًّا، ليس عنده مشكلة، لا يدخل حَضَّانة، ولا يدخل لإجراء عملية فجاءت الآية التي لحقتها في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾ [الأعراف:١٩٠].

أي: فلما رزق الله الزوجين ولدًا صالحًا، جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بخلقه فعبَّداه لغير الله، فتعالى الله وتنزه عن كل شرك .

أردت أن أقول لك: إن الخصلة الصالحة أن تلجأ، وأن تستغيث، وأن تستعين بالله تعالى، في جميع الأحوال ليس فقط عند الشدة، وإنما تستعين بالله تعالى، وتجأر إليه عند الرخاء، فإذا ما استعنت به عند الرخاء فإنه يجيرك عند الشدائد سبحانه وتعالى، جل جلاله فهو القائم.

أمن يجير المضطر إذا دعاه، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾

[النمل:٦٢]

أي: أعبادة ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض؟ أمعبود مع الله ينعم عليكم هذه النعم؟ قليلاً ما تذكرون وتعتبرون؛ فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

أي: أحدهم مضطر، ولكن خارج إطار الخدمة، لكن في الواقع اضطر حتى لو كان كافرًا، ولكنه اضطر، فلما اضطر تذكر أن لهذا الكون إلـهًا فقال: يا رب، وهو كافر فإنه مضطر، وكونه مضطرًا جعله يدعو، ويطلب،

ويستغيث: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

قليلًا ما يتذكر الإنسان أنه أحوج إلى الله ﷻ في الرخاء قبل أن يكون أحوج إلى الله تعالى في الشدائد؛ ولذا فإن الخصلة الصالحة التي تحدثنا عنها الآن لا ينبغي أن تنساها إنك في السراء، في الراحة، في الرخاء، في السعة، وأنت سعيد تقول: يا رب، وتنوي بالقيام بركعتين شكر .. أشكر الله ﷻ.

عندما تشعر أن الله ﷻ أعانك على عمل صالح في ليلة، فإنك تصبح صائمًا، لو أن الله ﷻ أعانك وأكرمك بالنهار، وبيَّض وجهك، وفتح لك، فماذا أنت فاعل له في الليل؟ الذي أعطاك، الذي أكرمك الذي بيَّض وجهك، الذي وسع عليك الذي جعل لك فيضًا، وعطاءً، وكرمًا بماذا قابلت هذا؟ اعترفت بالجميل ليس هذا كافيًا.

الخصلة الصالحة كل منكم يختار خصلة تقربه إلى ربه. فعلى سبيل المثال: أن تحدث بعد كل ذنب توبة؛ حتى ولو كان صغيرًا، ينبغي على الفور أن تصلي ركعتين بنية التوبة في لحظتها، في اللحظة نفسها قبل أن ترجع بيتك في المكان نفسه الذي أغضبت فيه الملك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

أي: والذين إذا ارتكبوا ذنبًا كبيرًا، أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده؛ فلجئوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم .

صلوا ركعتي التوبة في المكان نفسه، في الحالة نفسها ارتكب ذنبًا أو اقترف إثمًا، أو قال ما لا ينبغي أن يقول، أو ما لا ينبغي أن يفعل، لا يرجع

بيته إلا أن يتوب، فإذا فعل ذنبًا فله توبة، كما قال لك الملك الآن في سورة آل عمران، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ** ﴾[آل عمران:١٣٥].

أي: عندما ذكروا الله صلوا ركعتين، فلما صلوا هاتين الركعتين كانت استغفارًا، الصلاة في حد ذاتها استغفار؛ ولكن هناك فرقًا أن الشخص يصلي؛ لكي يتوب الله تعالى عليه، وآخر يصلي صلاةً سريعة، خفيفة ليس لها ميزان، وليس لها قوام، ومن هنا، فإنك كلما فعلت ذنبًا أحدثت له توبة في المكان نفسه، وقد كان أصحاب النبي ﷺ إذا أراد أحدهم أن يتوب، فإنه يُعاهد الله تعالى ﷻ، ويقول: يا رب كل مكان عصيتك فيه فإنني سأطيعك فيه، أي كل مكان، الإنسان أغضب فيه الملك يذهب لنفس المكان؛ لكي يرضى الملك.

وآخر كان عنده حديقة كان يجمع فيها الناس، ويجلسهم فيها يفعلون أشياء لا تليق، أو يضيعون فيها الوقت، وليس شرطًا أن يقعوا في ذنب، على سبيل المثال. يقول لإخوانه ولأقاربه: أنتم ضيوفي اليوم، وجلسوا معه يأكلون ويشربون ولم يؤذوا أحدًا، ولكن لم يصلوا، فعدم الصلاة في حد ذاتها معصية، فأتت عليهم صلاة الظهر، والعصر والمغرب، والعشاء، وعادوا إلى مدينتهم دون أن يؤدوا الصلاة، إذا أراد أن يتوب فإن الذي فاته لابد أن يعيده مرة ثانية.

قال النبي ﷺ لسيدنا بلال ﵁ وهو يقص عليه الرؤيا بعد صلاة الفجر كان النبي ﷺ يستقبل أصحابه ويقول لهم: «**هل رأى أحد منكم رؤيا**»(١)؛ أي: يقبل عليهم بعد صلاة الفجر، فيسألهم من رأى منكم أمس رؤيا صالحة، فيقصونها

(١) صحيح البخاري، كتاب: التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث: ٦٥٢٥.

على النبي ﷺ فيعبِّرها لهم، أي: يفسرها لهم، فلما صلى الفجر في هذه الليلة قال يا بلال: «**بم سبقتني إلى الجنة، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي**»[1] يقول النبي ﷺ: لسيدنا بلال: أنت كنت معي في الجنة بالأمس، أي سمعت خشخشتك، أي كنت رفيقًا لي في الجنة بالأمس، ماذا كنت فاعلاً ؟

ما الذي أوصلك أن تكون معي في الجنة؟ ما أرجى عمل فعلته؟ فذكر بلال رضي الله عنه الخصلة الصالحة التي نتحدث عنها الآن لتنقية العمل، فذكر خصلة واحدة لم يقل له: أنا أزكي، أنا أحج كل سنة وأعتمر، ولكننا نركز على خصلة تتخصص فيها خصلة من العمل الصالح، إن كل مسلم له سورة يخصها بالمحبة يقبل عليها ويدندن بها، عمل واحد يتميز فيه تخصص فيه، فقال بلال رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: (ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن لله عليَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «**بهما**»)[2] أي أن الناس كلها تتوضأ للظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ولكن سيدنا بلال كلما توضأ صلى ركعتين دون الفريضة، وما الذي أوصلك إلى هذا يا بلال؟ ماذا نفهم من كلامه رضي الله عنه؟

نفهم من كلامه أنه كان متوضئًا على مدى أربع وعشرين ساعة، هذه واحدة، الأمر الآخر أنه كان يصلي ركعتين بعد كل وضوء، وهما سنة الوضوء، ولكن الجميل ما لم تكن أوقات كراهة، ولا فيها كراهية في الصلاة فإنه يصلي ركعتين، وبعد هذا فإنه يشعر بإنه مقبل على قيوم السماوات والأرض.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في مناقب "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٦٢٢.
(٢) سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٦٢٢.

اللهم اجعلنا بالقرآن العظيم ذاكرين، وللنعماء شاكرين ومن الضراء صابرين، وللفرائض مؤدين، وبالآثار للنبي ﷺ مقتدين ومهتدين، وعن المسألة للغير متعففين، وبالعبودية لمن سواك مستنكفين، وبفضل جودك يا رب مكتفين، وبالأعمال مخلصين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على أفضل خلقك أجمعين سيدنا محمد، وآله وصحبه الغرّ الميامين .

اللهم يا عظيم السلطان، يا قديم الإحسان، يا كثير الخير، يا واسع العطايا، يا باسط الرزق، يا خفي اللطف، يا جميل الصنع، يا جميل الستر، يا حليما لا يعجل، يا كريمًا لا يبخل، يا مقوي كل ضعيف، يا مأمن كل خائف، يا من لا يحتاج إلى البيان والتفسير، حاجتنا إليك كثيرة، وأنت بصير بنا، محيط بأفعالنا، وأنت عالم بنا، اللهم اغفر لنا وارحمنا، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا اللهم فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت.

****